وانصرفت وبينما هي تمشي في الشارع تعرنلت قدمها وتعثرت فكادت أن تسقط فنظرت ما الذي عرقلها فوقعت عينها على ورقة فرفعتها فإذا هي عشرون جنيهًا فأخذتها وبحثت عن دكان للدجاج فوجدت دكانًا مفتوحًا فأسرعت إليه قبل أن يغلق بلحظات واشترت لأولادها دجاجة حتى أكلوا وشبعوا وفرج الله عنهم.

إخواني، كم من مغبوط بنعمه هي داؤه، وكم من محروم من دواء حرمانه شفاؤه، لو استخبر المنصف العقل والنقل لأخبراه أن الدنيا دار مصائب وشرور ليس فيها لذة على الحقيقة إلا وهي مشوبة بكدر فما نظنه في الدنيا أنه شراب هو في الحقيقة سراب، وعمارتها وإن حسنت خراب إنها على ذا وضعت لا تخلو من بلية ولا تصفو من محنة ورزية لا ينتظر الصحيح فيها إلا السقم والكبير إلا الهرم فثق ربك والجأ في أحوالك إليه وتوكل في كل الأمور عليه، وارض بما قسم الله لك واشكر نعمه يزدك.

الفصل السادس

الهداية من الضلال

من لطف الله بعبده أن يهديه إلى طاعته، وأن يلهمه ذكره ومحبته وأن يحول بينه وبين الفسوق والعصيان، فيحيي قلبه بالإيمان، وينقذه من ظلمات الغي وسكرات الغفلة ومهاوي الضلال ومواطن الشبهات والشهوات، فإذا وجدت في قلبك نورًا و هداية فاشكر الله وسله المزيد من فضله فالهداية تزداد بازدياد الإيمان قال ربنا في محكم آياته ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (محمد: ١٧). وقال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف: ١٣).

وهذا أعظم نعيم في الوجود، وأخطر قضية في حياة الإنسان أن يهتدي إلى صراط الله المستقيم وعلى قدر الهداية يكون القرب من الله والتنعم بذكره وعبادته وتأمل جيدًا

كيف أوجب ربنا علينا أن نطلب منه الهداية كل يوم سبع عشرة مرة فنقول في كل ركعة من صلاة الفريضة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦). ولو سلبت من العبد كل النعم وبقيت هذه النعمة وحدها لعجز الإنسان عن شكرها، وهل هناك نعمة أعظم وأجل وأهم من أن يهديك الله إلى صراطه المستقيم؟!، مر رجل برجل أعمى أشل أجذم، وإذ به يردد ويقول الحمد لله الحمد لله، فقال له هذا المار: علام تحمد الله؟ أنت أعمى لا ترى، أشل لا تتحرك، أجذم يقذرك الناس ولا ينظرون إليك فعلام تحمد الله؟! فقال: أحمد الله أن أعطاني قلبًا يذكره ويوحده لا قلبًا أعمى كقلبك!!.

أحبتي وإخوتي: تعالوا نقلب صفحات من لطف الله بخلقه لعل كل واحد يستشعر لطف الله به في خاصة نفسه فيتمسك بدينه، ويكثر من شكر الله وحمده، ويثبت على طاعته ويعظم حبه لربه.

لا تعذر المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

نعم لا تلمني على حبي حتى يكون قليك كقلبي، وإليكم بعض الأمثلة لعلها تبعث في القلوب الأمل وتظهر للنفوس عظيم وجليل لطف الله وفضله سبحانه وبحمده.

١- قَتَل ثم قُتِل فدخل الجنة:

هذا مثال خالد يبقى عبر الزمان خالدًا بخلود سنة النبي ﷺ وليس الموقف مجرد حكاية وقصة بل للعظة والعبرة والتأسي والاقتداء فمهما كثرت ذنوبك وعظمت خطاياك فرحمة الله أوسع وفضله أعظم، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣). في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال له: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة نفس، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا وصل إلى نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم: أي حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرضيين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة[1]. فانظر إلى لطف الله بهذا الرجل كيف هيأ له الأسباب حتى أنجاه من العذاب وتاب عليه وقبل توبته، لذلك مهما كثرت ذنوبك فاستغفر وتب منها فإن ربك تواب رحيم.

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

٢- نفوس مقتولة أُحياها الله:

كم من رجل أراد قتل نفسه فحال الله بينه وبين ذلك لأن هناك هداية وسعادة في انتظاره، وإليكم شواهد من ذلك.

يقول أحد الإخوة مررت في أحد الطرقات وإذا بي أرى رجلًا يصنع حركات غريبة وعجيبة فأسرعت إليه لأرى ذلك الحال الغريب، نظرت فإذا بي أراه يمسك بسكين ويريد أن يقتل نفسه وحاولت منعه بقوتي، وجعلت أذكر له آيات من القرآن وأحاديث من السنة ترهب من الانتحار وقتل النفس، فنظر إلي وقال لي صارخًا: ما الذي جاء بك؟ دعني، اذهب واتركني، ولكني شجعت نفسي لإنقاذ هذا الإنسان وكررت عليه كلام الله وكلام رسول الله فقد خطر في عقلي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أرسلني إلى هذا المكان لإنقاذ هذا الإنسان، انقضضت عليه سريعًا وأمسكت بيده ثم صرخت فيه قائلًا، لقد جربت المعاصي والسيئات سنين فلم تجد إلا ذلك، فهلا جربت الطاعة جرب أن تطيع الله وسوف تسعد والله، وسوف تنسى همومك فهدأ قليلًا ثم قال: لنجرب معكم، ثم تاب إلى الله ورجع إليه وهو والله الآن من خيرة التائبين بل إنه بعد شهر واحد من توبته اهتدى على يديه بفضل الله قرابة ثلاثين شابًا، كلهم هداهم الله على يديه فسبحان من أحيا نفسًا لتحيي نفوسًا أخرى وتسعد.

مشهد آخر قال الشاب صاحب القصة مر عشرون خريفًا من عمري وأنا بظلام دامس أتخبط خبط عشواء لا أحس للدنيا طعمًا، المال كثير أخلائي كثير ماذا ينقصني؟ في نفسي جوعة وفي صدري ضيق، ماذا يشبع تلك الجوعة ومن ذا يشرح هذا الضيق؟

لم تشبع نفسي قط، معازف لم تشرح صدري على العكس تمامًا فالجوعة زادت والضيق ازداد بدلت أخلاقي سافرت وعدت سهرت كثيرًا وشربت، لهوت كثيرًا وتعبت، والجوعة دائمًا تزداد والضيق كذلك أحسست كأني مسجون في دنياي، وأن الأرض برحابتها ضاقت فكرت كثيرًا وطويلًا وأخيرًا ظهر الحل الآن سأشعر بالراحة هذه سكيني بيدي تلمع باسمة راضية عن هذا الحل، الناس هجوع والأهل نيام لم يبق سوى لحظات وأعيش ساعات الراحة..لكن في تلك اللحظات وسكيني في يدي تقترب من قلبي الميت جاء من أقصى الصمت صوت بسعى و يقول: الله أكبر، الله أكبر سقطت سكيني من يدي، وتحرك قلبي الميت وكأنه كان في غيبوبة، واستيقظ بعد طول سبات،ويح نفسي ماذا جد؟ أغريب هذا الصوت؟ عشرون خريفًا تسمعه أما أحسست معناه إلا الآن، وشرعت أحقق رغبة نفسي بإجابة هذا الصوت أخذت ماء وتوضأت أسلت الماء على وجهي المرهق، فارتاح وأراح براحته نفسي، وخرجت إلى الشارع متجهًا نحو المسجد، الكون مخيف بهدوئه لا صوت لا ضوضاء، دخلت المسجد مع إقامة صلاة الفجر، دخلت في الصف مع الناس طراز من الناس لم أعهده بحياتي، وجوه بيضاء يشع منها نور، ونفوس طيبة مرتاحة تقدم من بين الناس إمام أقبل عليهم بوجهه يحثهم على تسوية الصف وشرعت "صلي خلفه، ونفسي مرتاحة، وصدري منشرح، بدأ يقرأ آيات وأنا أنصت، في تلك اللحظات نزلت دمعة أحسست ملوحتها وشعرت بلسعتها، أجهشتُ ببكاء صادق صنع في نفسي أزيزًا كأزيز المرجل، فنزل الدمع غزيرًا وسال على خدي وسقى أرضًا جدباء في قلبي الميت، فأحيا بهذا الدمع بعد

كلام الله موت فؤادي، وكان بمعية هذا الغبث صوت الرعد صوت نحيبي وبكائي من خشية رب الناس[١].

٣- لطف عجيب بأحد العصاة:

ونبدأ القصة من نهايتها، ها هو شاب في ثياب الإحرام، تبدو ملامح الصلاح على وجهه ولكن أحد الدعاة ينظر فجأة فيرى شيئًا عجيبًا في جلدة بطنه، إنها ثلاث ثقوب من أثر عمليات جراحية، يبدو شكلها مخيفًا مفزعًا، فقال له الشيخ: مالك؟ ما قصتك؟ أخبرني، فقال: أعانك الله أن تتحمل حديثي، قلت: حياك الله أخبرني بأمرك فقال: والله لقد عشت سنين في الضلال، أسير في دروب الغواية وأتخبط في ظلمات التيه، لا أحس للدنيا طعمًا، ولا أجد لنفسي راحة أو سكينة، والله ما كنت أعرف أن هناك بعث ولا نشور، والله ما نصحنا أحد، وما وجهنا أحد من الناس لفعل الصالحات فطلاب العلم عندنا متشاجرون مختلفون، والله إن هذا الذي تراه في بطني كله من الانتحار، شبابي قضيته في غرفة العناية المركزة.

مرة من المرات أخذت السكين وبقرت بها بطني أريد أن أنهي حياتي التي عشت فيها بين الفواحش والمحرمات والمعاصي والمخدرات، والخمور والفجور، أردت أن أنهي تلك الحياة المظلمة المضطربة، ولكني لم أمت لأن الله لم يرد ذلك، وبعد ذلك بمدة ركبت سيارتي وأسرعت بقوة أريد التفحيط فوقع لي انقلاب وما شعرت إلا وأنا في العناية المركزة ثم عوفيت بعد أشهر ولم أمت، لأن الله ما أراد لي أن أموت، وبعد ذلك بمدة صعدت سطح البيت فألقيت بنفسي من فوق السطح أريد الهلاك والموت، وما

---

(١) «مواقف إيمانية» (٤١٧-٤١٩).

أراد الله لي أن أموت، تكسرت عظامي وأقعدت فترات طويلة عن الحركة وما اتعظت بذلك، قال: وأخيرًا لما يئست من هذه المحاولات كلها أخذت المسدس، فوضعته على صدري، ورميت نفسي بالرصاص ودخل الرصاص في جسمي حتى خرج من الجهة الأخرى، وصرت في غيبوبة لمدة سنة وما يقرب من ثمانية أشهر، لا أعلم بشيء ولا أحس بشيء، ظللت مدة في المستشفى وعوفيت ولم أمت لأن الله لم يرد لي أن أموت، ثم أدركتني رحمة الله وتبت إليه بعد أن ذقت مرارة العصيان فالحمد لله[1].

٤- من الغناء والسهر إلى هداية البشر:

حدثني أحد إخواني الصالحين[2]، أحسبه كذلك والله حسيبه قال: مر أحد الإخوة الدعاة يومًا في بعض الطرقات فوجد مجموعة من الشباب، اجتمعوا على غناء وفحش في الأقوال وجعلوا يصفقون بأيديهم وهم يجلسون حلقة ويتمايلون طربًا وقام واحد منهم وسط الحلقة يتراقص ويغني، قال فاقترب منهم هذا الداعية وعمد إلى ذلك الراقص بينهم واقترب من أذنه وجعل يردد بصوت هادئ، قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه:١٢٤). ثم مضى وتركهم كما هم عاش هذا الداعية وقتًا من الزمان يدعو إلى الله عز وجل، وبينما هو يخطب الجمعة يومًا أدى الصلاة وانطلق عائدًا إلى بيته، ثم مر بأحد المساجد فإذا بواعظ يلقي على الناس، بعد الخطبة موعظة مؤثرة أنصت ثم أنصت فإذا الناس يبكون من أثر الموعظة، فسارع إلى دخول المسجد ليسمع تلك الموعظة البليغة ولما دخل وجد الناس في إنصات عجيب، وبكاء ونحيب فقال في نفسه، ما أبلغه من خطيب لعلي بعد الموعظة

(1) محاضرة مسجلة بعنوان شجاعة تائب.

(2) التقتيب به بمدينة الدوادمي بالسعودية واسمه مروي.

أخذ منه موعدًا لإلقاء موعظة في مسجدنا، وبعد انتهاء تلك الموعظة التي حركت قلبي، وأسالت دمعي ذهبت مسرعًا إلى ذلك الأخ الواعظ، وأردت أن آخذ منه موعدًا فلما نظرت إليه ورآني تهلل في وجهي وقام إلي والتزمني فتعجبت وقلت: هل تعرفني يا شيخ، قال نعم أعرفك جيدًا قلت: عذرًا ولكني لا أعرفك وما رأيتك في حياتي إلا الآن، قال: بلى قد رأيتني قلت: أين ومتى؟ قال: ألا تذكر يومًا مررت فيه ببعض الشباب وهم يغنون ويرقصون فاقتربت من الواقف بينهم وهم جلوس ووعظته ببعض الآيات قال: نعم أذكر ذلك، فقال: أنا ذلك الشاب الذي وعظته وقد هداني الله بكلماتك تلك فجزاك الله عني خيرًا.

قلت وهذه القصة تشبه قصة توبة زاذان الكندي التي ذكرها الإمام ابن قدامة في كتاب التوابين حيث قال: روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مر ذات يومٍ في موضع من نواحي الكوفة فإذا فتيان فساق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغن، يقال له زاذان يضرب ويغني وكان له صوت حسن.

فلما سمع ذلك عبد الله قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله وجعل الرداء على رأسه ومضى فسمع زاذان قوله فقال: من كان هذا؟ قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وأي شيء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى. فقام وضرب العود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدرك عبد الله بن مسعود، وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود، فاعتنقه عبد الله بن مسعود وجعل يبكي كل واحد منهما، ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من قد أحبه الله عز وجل، فتاب إلى الله عز وجل من

ذنوبه، ولازم عبد الله بن مسعود وأخذ عنه حظًا من العلم حتى صار إمامًا في العلم وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان وغيرهما[١].

وفي هذا درس مهم جدًا وهو أن كلمة واحدة قد يحيي الله بها القلوب فألق على الناس أطايب النصح، والهج بينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وادع إلى الله بسلوكك وأخلاقك، ومع الإخلاص ستنقاد لك القلوب، وتنال أجر كل من عمل صالحًا بسببك كما قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[٢]، وكذلك قال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[٣]، فبذر للخير خصلة واغرس للهدى أثرًا وسوف تنال أجرك كاملات سواء أستجيب لك أم لم يستجب، فيكفيك أنك دعوت فاحذر أن تسكت عن منكر تراه، فإما أن تزل المنكر وإما أن تزول أنت عنه.

٥- لطف وإمهال ليس لهما مثال:

هذه قصة تستشعر وأنت تطالعها من سعة رَحْمَةِ اللهِ وعظيم فضله يقول صاحب القصة: كنا مجموعة من الشباب ندرس في إحدى الجامعات وكان بيننا صديق عزيز اسمه محمد،وكان يحيي لنا السهرات ويجيد العزف على الناي حتى تطرب أذاننا ونفوسنا والمتفق عليه بيننا أن سهرة بدون محمد سهرة ميتة لا أنس فيها، ومضت بنا الأيام على هذه الحال ثم كانت بداية الأحداث الساخنة، كانت البداية يوم أن جاء محمد

---

(١) «كتاب التوابين» (ص: ١٣٠).

(2) رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(3) رواه مسلم برقم (١٨٩٣).

إلى الجامعة وقد تغيرت ملامحه وظهرت عليه آثار السكينة والخشوع، فجاءه أحد الشباب وقال له: يا محمد ماذا بك، كأن الوجه غير الوجه ما الذي جرى؟! فرد عليه محمد بلهجة هادئة واثقة: لقد طلقت الضياع والخراب، وتبت إلى الله عز وجل مما كنت فيه من معاص وسيئات، فذهل الشاب من كلامه وقال له: من الجدير بي أن أخبرك أن عندنا الليلة سهرة لا ينبغي أن نضيعها وسوف يأتي إلينا ضيف تحبه إنه المطرب فلان فقال له محمد: أرجو أن تعذرني فقد قررت أن أقاطع هذه الجلسات الضائعة فازداد اندهاش الشاب وذهوله مما سمع ونظر إلى محمد بنظرة استغراب وتعجب، فقال له محمد: اسمع يا فلان، أخبرني كم بقي من عمرك؟ كم بقي لك من أيام في هذه الدنيا؟ ها أنت تعيش قوة بدنية وعقلية، وتعيش حيوية الشباب، فإلى متى ستبقى مذنبًا غارقًا في الذنوب، والمعاصي؟ لم لا تغتنم هذا الخير في أعمال الخير والطاعة، وتناثرت كلمات من نور من قلب محمد على هذا الشاب الذي يخاطبه وواصل الوعظ، قائلًا يا فلان إلى متى تظل بعيدًا عن الله؟! إلى متى تعرض عن الصلاة وعن عبادة الله أما علمت أنك قد تموت اليوم أو غدًا؟! فكم من مغتر بشبابه يملك الموت عند بابه!! وكم من غافل عن أمره، ينتظر فراغ شهره، وقد آن انصرام عمره!! كم من غارق في لهوه وأنسه وقد دنا غروب شمسه!! أما تدري أن هناك حساب وسوف تحاسب عن شبابك وعن عمرك ومالك؟ قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم.

يقول هذا الشاب وتفرقنا على ذلك وكان من الغد أول أيام شهر رمضان، وفي ثاني أيام رمضان ذهبت إلى الجامعة لحضور محاضرات السبت، فوجدت أن الشباب وجوههم متغيرة، فقلت: ما بالكم؟ ماذا حدث؟ فقال أحدهم: إن محمدًا خرج

بالأمس من صلاة الجمعة صدمته سيارة مسرعة فمات، مات وهو صائم، وهو خارج من صلاة الجمعة، قال ذلك الشاب فذهبنا إلى بيت محمد وصلينا عليه الجنازة بعد صلاة عصر ذلك اليوم وكان مشهد دفنه مؤثرًا جدًا، تدمع له العيون وتتفطر له القلوب.

وقد كانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا

ورؤية القبور وزيارتها تذكر الإنسان بالآخرة، قال رسول الله ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور القبور فليزرها فإنها تذكر بالآخرة[1].

رجع صاحبنا إلى بيته مهمومًا حزينًا كسيرًا، وكان عليه من الغد امتحان في الجامعة فلم يستطع طوال الليل أن يفتح كتابًا أو أن يحفظ كلمة فقرر أن يعتذر عن الامتحان وأن يذهب في الصباح إلى الأستاذ ليؤجل موعد الامتحان وفي الصباح ذهب إلى إدارة الجامعة ليقدم الاعتذار عن الامتحان، ولكن الشاب فوجئ بخبر أليم فزع من أجله فزعًا شديدًا، فإن هذا المدرس الذي ذهب إليه تبين أنه أصيب بأزمة قلبية وتوفي بالأمس فأصيب هذا الشاب بغم على غمه، ومع تتابع الهموم وكثرة الآلام رأى هذا الشاب أن هذه الهموم لا يعالجها إلا الهروب من الواقع، والسفر إلى بلاد بعيدة، وبالفعل سافر وفي هذا السفر تعرف على شابين دعياه إلى أن يذهب معهما إلى مرقص مشهور ولكنه بعيد يحتاج إلى سفر آخر أبعد واتفقوا على موعد للسفر أما هما فقد سافرا وأما هو فلم يسافر معهما لأنه كان نائمًا من شدة التعب والسهر، فلما كان من الغد جاءه

(1) روى الشطر الأول من الحديث مسلم برقم (٩٧٧)، وروي باقي الحديث الحاكم بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٥٨٤).

خبر عجيب، إن هذين الشابين اللذين اتفقا معه على السفر، قد ماتا وهما في الطريق إلى المعاصي، فأصيب الشاب بالاكتئاب الشديد، ورجع فورًا إلى بلده فكانت فاجعة أخرى عندما دخل بيته حيث قال له أخوه لا تنس أن تعزي والدتك فإن خالتك قد توفاها الله بالأمس!! فصرخ هذا الشاب وصاح: يا الله !! ما هذا؟ ماذا يجري حولي؟! الموت يلاحقني، ماذا أفعل؟ وأصيب الشاب بانهيار شديد، فدفعه اثنان من أصحابه من أصدقاء السوء إلى أن يسافر معهما إلى دولة مجاورة ليستريح من هذه المصائب، فانطلق معهما فلما وصلوا إلى الحدود منع هذا الشاب من السفر وذلك لوجود خلل في جواز سفره، فقال له رفاقه:ارجع وأصلح الخلل ونحن في انتظارك في هذه البلد في فندق كذا، ورجع إلى بيته، وإذ بمكالمة هاتفية تأتيه في منتصف الليل، إن الشابين كانا مسرعين بالسيارة فصدمتهما شاحنة فماتا جميعًا!! عند ذلك بكى هذا الشاب بكاء مرًا، وقال لنفسه: الموت أخذ كل هؤلاء فكيف لو نزل بي الموت وأنا على هذا الحال.

تنادينا المنية كل وقت فما نصغي إلى قول المنادي

فلو كنا جمادًا لاتعظنا ولكنا أشد من الجماد

رجع هذا الشاب إلى الله وأعلنها توبة صادقة فأخرج علبة السجائر من جيبه وألقاها على الأرض، وذهب فاغتسل وصلى صلاة خاشعة باكية وعاش من ساعتها في رحاب الإيمان تائبا منيبًا خائفًا وجلًا يتذكر بين الحين والآخر أن الله قد رحمه ولطف به وأمهله وأعطاه فرصة لكي يتوب إليه فسبحان من أمهله حتى رجع إليه وتاب.

وهذه قصة أخرى تشير إلى لطف الله بعبدٍ عاص يهديه الله بكلمة ثم يموت بعد التوبة بأيام ما هي قصته؟ حدثت هذه القصة في مدينة جدة، حيث كان هذا الشاب صاحب القصة قد ابتلي بجلساء السوء، فترك الصلوات وفعل الموبقات وارتكب

المعاصي والسيئات، وغرق في بحار الظلمات وقف يومًا بسيارته في أحد الطرقات، وإذ به يغازل إحدى البنات في شرفة من شرفات أحد المنازل، فمر به أحد الدعاة فرآه على تلك الحال المشينة وتلك الهيئة السيئة القبيحة فاقترب منه هذا الداعية وقال له: أسألك بالله لو كانت هذه البنت هي أختك ورأيتني أنا أفعل معها ذلك، ماذا كنت تصنع بي؟ فقال له: أذبحك. فقال له: إذًا السلام عليكم ثم تركه وانطلق بسيارته، تحرك الإيمان في قلب هذا الشاب وسار خلف الشيخ مسرعًا حتى أدركه وقال له: قف يا شيخ فوقف فقال: هذا الكلام الذي قلته لي أعده علي مرة أخرى، فأعاد عليه الكلمات وقال لو أنها كانت أختك ماذا كنت تصنع ثم ذكر له قصة الشاب الذي جاء يستأذن رسول الله ﷺ في الزنا فبدأت الدموع تترقرق في عينيه، كان لا يعرف المساجد ما كان يعرف إلا الجرائم والمعاصي، ووالده كان قد عجز معه تمامًا بعد هذا الحوار ورجع هذا الشاب إلى بيته واغتسل ولبس ملابس نظيفة ثم ذهب إلى المسجد وأخذ يكثر من تلاوة القرآن، ويكثر من الصلاة، ويبكي في صلاته بكاء شديدًا، وعرف عندئذ قيمة وجوده، ومنَّ الله عليه بالتوبة، وفوجئ والده بأن الجيران يأتون إليه للتهنئة بعودة ابنه إلى الله وصلاته في المسجد مع الناس فما صدق الأب وقال أيفعل هذا؟ أيصدق أن يصلي هذا الابن الشقي في المسجد مع الناس؟ جاء ونت الغداء ولكن الشاب ما رجع إلى البيت لماذا؟ قالوا أنه صائم فجاء شيخ المسجد إليه وقال له: يا أخي إن لأهلك عليك حقًا، فقال: يا شيخ أنا منذ سنين طويلة ما ركعت لله ركعة، دعوني أملأ قلبي بحب ربي، ودعوني أستشعر السكينة والسعادة تتحرك في قلبي، والله إني أذوق الآن لذات ما ذقتها في حياتي قط، أشعر بطمأنينة وراحة وقرب من الله وشوق إلى ذكره، أشعر الآن بطعم الحياة وطعم السعادة وبقي على حاله ذلك رفي اليوم الخامس توفاه الله، ويا لها من

خاتمة حسنة، قال رسول الله ﷺ : إن الله إذا أراد بعبد خيرًا عسله: قيل: وما عسله؟ قال: أي يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه.

ولله در من قائل:

يا نفس توبي فإن الموت قدحانا ... واعص الهوى فالهوى مازال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا ... لقطًا فتلحق أولانا بأخرانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... نرى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس مالي وللأموال أتركها ... خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ... ننسي بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصًا وهذا الدهر يزجرنا ... كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائن كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفرًا غبرًا وقيعانا

٦- ميلاد جديد:

يقول أحد الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا، لم يخطر ببالي يومًا أنني سأعتنق الإسلام وذلك بسبب الدعايات الكاذبة التي سمعتها كثيرًا عن الإسلام، ولكن الله أراد لي الهدى، وشاء لي أن أنال السعادة فقد مرض أحد أصدقائي مرضًا شديدًا جدًا،وكان في حالة سيئة للغاية، ولما رأيت ما به رق قلبي وارتعدت جوارحي، وذهبت إلى غرفة مجاورة وجلست وحدي وجعلت أدعو الله عز وجل أن يشفي صاحبي ودعوت دعاء كثيرًا وبكيت كثيرًا ومع كثرة البكاء و الدعاء أحسست ساعتها أن قلبي منشرح لنور الإسلام، فأخذت أبحث عن الهداية في كل مكان ولا أدري أين أجدها وكيف السبيل

إليها جعلت أسير في الطرقات ولا أدري أين تمضي بي قدماي وعندما وصلت إلى وسط المدينة بدأت أسأل عن مكتب توعية الجاليات الإسلامية فلم أجد من المارة أحد يدلني عليه ووجدت أنني أسير وأواصل السير حتى وصلت إليه بدون أن يدلني أحد عليه، وعجبت لذلك وأسلمت بحمد لله ونطقت الشهادتين ما أجلها من عبارة ما أعظمها من كلمات حينما يردد الإنسان لا إله إلا الله محمد رسول الله، شعرت أن قلبي صار قلبًا جديدًا نظيفًا،وأحسست عند دخولي في الإسلام أني ولدت من جديد[1].

٧- أعجمي يهدي به الله عربيًا:

يقول أمين فايز: أخبرني صديق أن شابًا اسمه خالد يسأل عني ففكرت مليًا وقلت في نفسي، من يكون خالد هذا؟ أهو ذلك الشاب السوري الذي قابلته في الجامعة منذ ثلاث سنوات؟ لعله هو لكن ماذا يريد؟ وأنا ما أحببته قط، وذلك لأنه كان بعيدًا عن ربه تعالى لا يعرف صلاة ولا صيام، وكان متكبرًا فخورًا سيء الخلق يتشبه بأهل الغرب حتى إذا رأيته ظننته أمريكيًا، فماذا يريد مني؟ قال: وعندما جاء إلى فوجئت بذلك الشاب ولكن بهيئة غير هيئته ها هو ذو لحية، وثياب تنم عن وقار، ووجهه يتلألأ نورًا وبهاء، لم أصدق ما أرى. أقبل عليَّ وعانقني عناق المحب الذي يبحث عن حبيبه منذ سنين فسألته عن أحواله ورغباته فوجدت نفسًا وثابة لفعل الخيرات وقلبًا محبًا لبذل الخير والعلم، وجدت نفسية تقية يسيل منها جواهر إيمانية وإشراقات براقة من النور عندئذ فهمت ما حدث لصاحبي، إن لطف الله تداركه وهداه ربه تبارك وتعالى إلى صراطه المستقيم وأيقظ قلبه من غفلة شديدة كان فيها.

---

(١) «لا إكراه في الدين» لمحمد ناصر الطويل (ص: ٢٠٠)، نقلًا عن المنهاج الأسني.

وأما قصة التزامه فهي غريبة عجيبة فقد تعرف على شاب أمريكي مسلم، وراح هذا الأمريكي يدعوه إلى الله ويحدثه عن الإسلام، ويدعوه إلى الرجوع إلى الله عز وجل، وإذ بخالد ينتفض ويستيقظ من غفلته ويقول في نفسه: أأمريكي لم يمض على إسلامه سنوات قليلة يدعوني إلى التوبة وقد كان الأحرى أن أدعوه للإسلام، إنه قدر الله أن يكون هذا الأمريكي سببًا في هداية خالد لقد نفض عن قلبه غبار الغفلة، وبدأ حياة جديدة أراد فيها إرضاء الله لقد تغيرت حياته بشكل جذري وطلق زوجته اللاهية العابثة التي لم توافقه على ما هو فيه بل بدأت تصفه بالجنون وأبدله الله خيرًا منها وقرر أن يعيش حياة إسلامية، في هذه المدينة (سانياغو) وبدأ حياة جديدة مع الكفاح والصبر والثبات على الدين فثبت الله المهتدين من المسلمين[1].

٨- داعية أبكم ودعوة مؤثرة:

يقول الشيخ محمد المسند: هذه من عجائب القصص ولولا أن صاحبها كتبها لي بنفسه، ما ظننت أن تحدث، يقول صاحب القصة وهو من أهل المدينة النبوية يقول: أنا شاب في السابعة والثلاثين من عمري، متزوج ولي أولاد، ارتكبت كل ما حرم الله من الموبقات، أما الصلاة فكنت لا أؤديها مع الجماعة إلا في المناسبات فقط مجاملة للآخرين، والسبب أني كنت أصاحب الأشرار والمشعوذين فكان الشيطان ملازمًا لي في أكثر الأوقات، كان لي ولد في السابعة من عمره اسمه مروان أصم أبكم لكنه قد رضع الإيمان من صدر أمه المؤمنة، كنت ذات ليلة أنا وابني مروان في البيت كنت أخطط ماذا أفعل أنا والأصحاب وأين سنذهب، كان الوقت بعد صلاة المغرب فإذا ابني مروان

---

(١) «مجلة البيان»، العدد ٣٧ لعام ١٩٩١ (ص:٩٧-٩٨).

يكلمني بالإشارات المفهومة بيني وبينه ويشير لي: لماذا يا أبت لا تصلي؟ ثم أخذ يرفع يده إلى السماء ويهددني بأن الله يراك، وكان ابني هذا يراني في بعض الأحيان وأنا أفعل بعض المنكرات، فتعجبت من قوله، وأخذ ابني يبكي أمامي، فأخذته إلى جانبي ولكنه هرب مني،وبعد فترة قصيرة ذهب إلى صنبور الماء وتوضأ وكان لا يحسن الوضوء، لكنه تعلم ذلك من أمه التي كانت تنصحني كثيرًا ولكن دون فائدة، وكانت من حفظة كتاب الله، ثم دخل علي ابني الأصم الأبكم وأشار إلي أن انتظر قليلًا فإذا به يصلي أمامي ثم قام بعد ذلك وأحضر المصحف الشريف ووضعه أمامه وفتحه مباشرة دون أن يقلب الأوراق ووضع إصبعه على هذه الآية من سورة مريم ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ (مريم:٤٥).ثم أجهش بالبكاء وبكيت معه طويلًا فقام ومسح الدمع من عيني، ثم قبل رأسي ويدي وقال لي بالإشارة المتبادلة بيني وبينه ما معناه: صل يا والدي قبل أن توضع في التراب وتكون رهين العذاب.

وكنت والله العظيم في دهشة وخوف لا يعلمه إلا الله فقمت على الفور بإضاءة أنوار البيت جميعها، وكان ابني مروان هذا يلاحقني من غرفة إلى غرفة، وينظر إلي باستغراب وقال لي: دع الأنوار وهيا إلى المسجد الكبير يقصد المسجد النبوي الشريف فقلت له: بل نذهب إلى المسجد المجاور لمنزلنا، فأبى إلا الحرم النبوي فأخذته إلى هناك، وأنا في خوف شديد وكانت نظراته لا تفارقني البتة، ودخلنا الروضة الشريفة وكانت مليئة بالناس وأقيم لصلاة العشاء،وإذا بإمام الحرم يقرأ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢١). فلم أتمالك نفسي من البكاء ومروان بجانبي يبكي لبكائي وفي أثناء الصلاة أخرج منديلًا ومسح به دموعي، وظللت أبكي وهو يمسح دموعي حتى أنني جلست في الحرم لمدة ساعة كاملة حتى قال لي مروان كف يا أبي عن البكاء، وعدنا إلى المنزل فكانت هذه الليالي من أعظم الليالي عندي، إذ ولدت فيها من جديد، وحضرت زوجتي وحضر أولادي فقال لهم ابني: إن أبي صلى في الحرم ففرحت زوجتي، بهذا الخبر إذ هو ثمرة تربيتها الحسنة، وقصصت عليها ما جرى بيني وبين مروان، وقلت لها أسألك بالله هل أوعزت له بشيء؟ فأقسمت بالله أنها ما فعلت شيئًا.

ثم قالت لي: احمد الله على هذه الهداية. وكانت تلك الليلة من أروع الليالي،وأنا الآن بحمد الله لا تفوتني صلاة الجماعة في المسجد إلا من عذر، وقد هجرت رفقاء السوء جميعًا، وذقت طعم الإيمان وأصبحت أعيش في سعادة مع زوجتي وأولادي فالحمد لله الذي هداني على يد ولدي[1].

٩- إشراقه نور:

حدثني أحد الإخوة الدعاة المحققين فقال: إن شابًا مشركًا في مدينته رأى رؤيا وسأل عن تأويلها فلم يجد من يؤولها له، فجعل يسأل حتى دله الناس علي قال: فجاء وحدثني بما رأى فقال: رأيت كأني ألبس ثيابًا قذرة جدًا، متسخة جدًا ثم نظرت فجأة فإذا بمجموعة من الشباب قد تحلقوا في حلقة ويلبسون ثيابًا ناصعة البياض فنظرت ووجدت كأن رجلًا يجلس في وسط هذه الحلقة وهم يعظمونه ويوقرونه قال: فبينما أنا أنظر إليهم تقدم إلي واحد منهم وقال لي: أما آن لك أن تنظف وتتطهر ؟ فسألته عن

---

(١) «الطائف وغرائب» من الإنترنت للدكتور محمد غنيم (٢١٤-٢١٧)، بتصرف يسير.

الرجل الذي يجلس في وسط الحلقة فقيل لي: هذا هو الذي يقولون عنه ﷺ، يقول: ثم طلب مني الشاب تفسير هذه الرؤيا التي رآها فقلت: وهل هذه الرؤيا تحتاج إلى تفسير؟! إنها واضحة جدًا، ومعناها أنه لابد أن تترك كفرك وشركك وتدخل في دين الإسلام فأعرض عني، وجعل يجادلني،وحاولت إقناعه ببطلان ما هو عليه وذهبت به إلى بعض الإخوة المتخصصين في مجال العقائد، فحاوره ولكن دون جدوى ثم انصرف ونسيت ما كان من أمره وبعد مرور أكثر من سنة وجدته يتصل بي أمس فقط يقول لي: أبشرك لقد أسلمت، ودخلت في دين الله وأشهرت إسلامي في الأزهر الشريف وسوف أزورك قريبًا، قلت سبحان من هداه برؤيا رآها.

١٠- سبحان من أحيا هذه القلوب:

هذه قلوب كانت ميتة ضائعة تائهة فتداركها الله بلطفه وألهمها هداها، وأنقذها من عماها وآتاها تقواها فصار أصحابها أئمة في الدين فسبحان مقلب القلوب وأذكر هنا المواقف التالية

١- بشر بن الحارث الحافي:

يقول ابن قدامة عليه رَحِمَهُ اللَّهُ: حكي أن بشرًا كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطربون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب، فخرجت إليه جارية، فقال لها: صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقلت: بل حر، فقال: صدقت، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتها، فسارع إلى الباب حافيًا حاسرًا وقد ولى الرجل، فقال للجارية ويحك من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى، فقال أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا، فتبعه بشر، حتى لحقه،

فقال له: يا سيدي أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم، قال: أعد علي الكلام فأعاده عليه فبكى بشر وقال: بل عبد عبد..وتاب إلى الله تعالى[١].

٢- داود الطائي:

ذكر ابن قدامة بسنده أن داود الطائي كان بدء توبته أنه دخل مقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بليً في كل يوم وليلة ... وتسلى كما تبلى وأنت حبيب

وقال أبو نعيم الفضيل بن دكين: قدم داود من السواد ولا يفقه فلم يزل يتعلم ويتعبد حتى ساد أهل الكوفة[٢].

٣- الفضيل بن عياض:

ذكر الإمام ابن قدامة بسنده أن الفضيل بن عياض كان يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلًا يقطع الطريق يقال له: الفضيل، قال: فسمع الفضيل فأرعد،فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبدًا، فرجع عما كان عليه وروي من طريق آخر أنه أضافهم تلك الليلة،وقال: أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفًا، ثم رجع فسمع قارئًا يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن

(1) «كتاب التوابين» بتصرف يسير (١٣٥-١٣٦)

(2) نفس المصدر(١٣٣).

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الحديد: ١٦). قال بلى: والله قد آن فكان هذا مبتدأ توبته[١].

أحبتي إخوتي كم من ضال هداه الله وكم من غافل ميت القلب أحياه !! وكم من معرض معاند جبار هداه ربه فصار من أوليء الله!!.

ذلكم لنعلم أن الله على كل شيء قدير وأنه رؤوف رحيم، عزيز حكيم، لا يكون في ملكه إلا ما يريد ولا يحدث في كونه إلا ما يشاء سبحانه جل جلاله فاستهده يهدك، واستغفره يغفر لك، وتب إليه يتب عليك، ألم تر أن من لطفه إمهالك وتركك في هذه الدنيا لعلك تتوب، لعلك تتقرب إليه، وتستجيب له، ولو شاء لأنزل بك بأسه مع أول ذنب تذنبه، وهو يسمعك ويراك فلا تغتر بالأموال،وسارع بالتوبة إلى ذي الجلال، فقد دعاك ربك إليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (التحريم: ٨). دعانا ربنا إلى السعادة والفلاح، والفوز والصلاح فقال جل جلاله ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١). فتب إلى ربك لعلك تفلح اللهم تب علينا توبة نصوحًا ترضيك عنا يارب.

(١) «التوابين» لابن قدامة المقدسى (١٣٣-١٣٤)

obeikandl.com